

الموضوع: الانتحار والأمل

برنامج أنوار كاشفة

صديقي المستمع ، تواجه الإنسان أثناء مسيرته في الحياة مشاكل متنوعة ، وقد تصادفه أزمات معقدة . ويختلف رد الفعل تجاه هذه الأزمات بين إنسان وآخر وفقا لطبيعة الإنسان وقدرته على الإحتمال ، وللبيئة التي نما في وسطها والمفاهيم التي نشأ عليها ، وللظروف التي مر بها . ومن المؤسف حقا أن تصل الأمور ببعضهم إلى اليأس الكامل ومن ثم إلى الإنتحار. أجل إنه لأمر مؤلم أن يصل الإنسان إلى مرحلة الإنتحار ويقدم عليه . ولهذا قال الشاعر العربي :

يعوِّض الله مالاً أنت متلفه : وما عن النفس إن أتلفتها عوض.

وكتب أحدهم يقول : الحياة حلوة كما خلقها الله . أما من يراها دميمة موحشة ، فإما أن يكون مريضا لا ترى عيناه إلا السواد ، وإما اعترض طريقه إنسان سيء الخلق دفعه إلى كره الحياة . وكتب أيضا آخر قائلا : أن أموت فهذا شيء لا يخيف : ولكن أن أموت عارا فهذا هو المخيف . وبالطبع أن يقدم الإنسان على الإنتحار فهذا أمر مشين وعار يلحق بالإنسان إلى الأبد . فمهما حصل ، على الإنسان أن لا يصل إلى مرحلة الإقدام على الإنتحار . وكما يُقال فلا بد من أن تكون هناك شمعة مضيئة في نهاية النفق ومهما بلغ طوله . وقبل أن نبدأ بمعالجة هذا الموضوع الهام مستمعي العزيز ، نقرأ عليك هذا التقرير الذي ورد من باريس .

دق علماء النفس الفرنسيون ناقوس الخطر للتحذير من تفشي ظاهرة الإنتحار خاصة بين الشباب الفرنسي الذي يعاني من آفات أخرى كالإدمان والإيدز ، الأمر الذي يهدد مستقبل البلاد . ويؤكد علماء النفس أن حالات الإنتحار تعكس حالة الإحباط الجماعي التي يعيشها الفرنسيون في هذه الفترة بسبب سلسلة من العوامل الأسرية والعاطفية والمالية . وكان عدد المنتحرين في فرنسا قد تضاعف في السنوات الأخيرة حتى بلغ في العام الماضي ١٣ ألف حالة .

وفي تقرير مطول آخر نقتطف منه بعض الفقرات جاء ما يلي : كشف تقرير طبي صدر أخيرا أن معدل الإنتحار السنوي في الصين يفوق نظيره في أميركا أو انكلترا . ويقدر عدد الأشخاص الذين انتحروا في الصين خلال السنوات الست الماضية بحوالي مليون شخص . والملفت أيضا أن ٧٥ في المئة من حالات الإنتحار تقع في الريف ، بخلاف ما تشهده بلدان الغرب إذ أن الإنتحار أكثر شيوعا وسط المدن . وأن الصين هي البلد الوحيد في العالم الذي تتفوق فيه النساء على الرجال في الإنتحار .

بلدان كبيران أحدهما أوروبي فرنسا ، وآخر آسيوي الصين ، يشكوان من ارتفاع نسبة الإنتحار فيهما . وترتفع في فرنسا نسبة المنتحرين بين الشباب وفي المدن، بينما ترتفع في الصين نسبة المنتحرين بين النساء وفي الريف. حقا إنها لظاهرة غريبة . والمعروف بشكل عام أن أسباب الإنتحار ، إن كان في هذين البلدين أم في مختلف بلدان العالم تعود في أساسها إلى فقدان الأمل وانقطاع الرجاء ، ويصل الإنسان إلى قناعة كاملة أن الإنتحار هو الحل .

لماذا يفقد الإنسان الأمل وينقطع رجاءه ؟ وهل الحياة سوداء وكالحة إلى الحد الذي يقدم فيه على إنهاء حياته ؟ أولا يوجد حقا أمل ورجاء في عالمنا المليء بالآلام والمحن والمآسي ؟ كلها تساؤلات جدير بنا أن نجيب عنها . علينا أن نلاحظ أولا أننا عبثا نبحث عن الأمل في نفوسنا ، فعندما تقسو الحياة علينا ونصل إلى درجة اليأس فمن المستحيل أن نجد الأمل الضائع . وكما يقول المثل فإن فاقد الشيء لايعطيه .

وعلىنا أن نلاحظ ثانيا أن الأمل الحقيقي لا يرتبط بالظروف المحيطة بنا . أي يجب أن لا نعتمد على الأوضاع المحيطة بنا لكي نعيد الأمل إلى نفوسنا . فقد لا تتبدل أحوالنا لمدة طويلة من الزمن فهل هذا يعني أن نفقد الأمل ونضيع رجائنا ؟ وبتعبير آخر علينا أن نبحث عن الأمل والرجاء من مصدرهما الحقيقي . فأين يكمن الأمل الحقيقي يا ترى وكيف نجده ؟

أثناء وجوده على الأرض إلتقى المخلص المسيح بعدد كبير من الناس المتألمين والمعذبين ، وأعاد الأمل والرجاء إلى نفوسهم . فقد إلتقى المسيح بالمرأة السامرية الخاطئة والتي كانت تعيش في حالة بؤس وشقاء ، وبدل حياتها رأسا على عقب . وأوضح المسيح لهذه المرأة أين يكمن مصدر الأمل الحقيقي عندما قال لها : " كل من يشرب من هذا الماء يعطش أيضا . ولكن من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد . بل الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية . " (بشارة يوحنا ٤: ١٣ و ١٤)

إن ماء العالم أي أمواله ومقتنياته ونفوذه وعظمته ومسراته ، كل هذه لن تروي الإنسان حقا ، بل تجعله يطلب المزيد والمزيد دون إكتفاء أو شبع . أليس هذا هو إختبار الملايين من البشر؟ وعندما تفقد هذه الأشياء المادية بريقها ، وتغدو الحياة مجرد أيام روتينية بلا معنى ولا هدف ، يبدأ اليأس يتسرب إلى كيان الإنسان . ويأخذ اليأس مداه الكامل لدى البعض فيفكرون بالانتحار ، أو يقدمون عليه . و إنما نلاحظ هذه الظاهرة واضحة في معظم الذين أقدموا على الإنتحار. لكن المخلص المسيح يقدم لنا عرضا مغريا آخر ، عرضا نجد فيه الإرتواء والشبع الحقيقيين . وليس هذا فحسب بل نكتشف فيه الأمل والرجاء الحقيقيين . لهذا قال المسيح : " أن من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد." أتدري يا صديقي ماهية هذا الماء ؟ إنه ماء الخلاص ،

الخلاص الإلهي المجيد ، الخلاص الذي يحررنا من عبودية الخطية ويخلقنا خليفة روحية جديدة . وهذا الخلاص لن ينضب بل يقودنا إلى الحياة الأبدية .

ربما بدأت صديقي المستمع تفقد الأمل والرجاء ، وربما حاولت أن تروي عطشك أو تحيي أملك من جديد عن طريق أمور هذا العالم المادي لكن دون جدوى . فلك نقول يوجد لك أمل ورجاء . تعال فقط إلى شخص المسيح واطلب منه أن يعطيك هذا الماء الحي ، ماء الخلاص المجاني . وعندها ، عندها فقط لن تكتشف الأمل والرجاء الحقيقيين فقط ، بل ستعرف مصدر السعادة الحقة .

أمام هذه الحقائق الهامة لم يكن غريبا أن يقف المسيح وينادي قائلًا : " تعالوا إلي يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم . احملوا نيري عليكم وتعلموا مني . لأنني وديع ومتواضع القلب . فتجدوا راحة لنفوسكم . لأن نيري هين وحملتي خفيف . " فهل تراك تلمي نداء المسيح يا صديقي ؟ وتحصل بذلك على أعظم عطية في الوجود .